فقد شرحنا ما في ذلك من الخطر العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة في كتاب الخوف من جملة كتب احياء علوم
الدين ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت به لتفعل ذلك وما امرت
تركه من المناهي لتترك ذلك والا فكيف تقوم بطاعات لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف تجب ان تعد
وكيف تجتنب معاصي لا تعلم انها معاص حتى لا توقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالطهارة
والصلوة والصيام وغيره تجب ان تعلمها باحكامها وشرايطها حتى تقيمها فربما انت مقيم
على شيء سنين وازمانا مما يفسد عليك طهارتك وصلواتك وتخرجهما عن كونهما واقعين على وفاق
السنة وانت لا تشعر بذلك وربما يتعرض لك مشكل ولا تجد من تسأله عن ذلك وانت ما تعلمته
ثم مراد هذا الشان ايضا على العبادة الباطنة التي هي مساعي القلب تجب ان تعلمها من التوكل
والتفويض والرضا والصبر والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سيأتي ذكره ان شاء الله
وتجب ان تعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط والامل والرياء والكبر لتجتنب ذلك
فان هذه فرايض نص الله تعالى على الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم كما قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واصبر
وما صبرك الا بالله وقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا ونحو ذلك من الايات كما
نص على الامر بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصلوة والصوم وتركت هذه الفرايض والامر بهما
من رب واحد في كتاب واحد بل غفلت عنها فلا تعرف شيئا منها ايغرنك من اصبح بعاجل حظه
مشغوفا فجعل المعروف منكرا والمنكر معروفا او من اهل العلوم التي سماها الله في كتابه نورا وحكمة
وهدى واقبل على ما به يكتسب الحرام ويكون مصيدة للحطام اما تخاف ايها المسترشد ان
تكون مضيعا للشيء من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشتغل بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون

في الاشقياء وربما انت مصر على معصية من هذه المعاصي التي تستوجب بها النار وتنزل منها حاس طعام
الشبهة او نوم تبتغي به قربة الى الله عز وجل فتكون في الاشقياء واشد من ذلك كله انك تكون في اسر الامل
او في معصية محضة فتظنه نية خير لجهلك بالفرق بينهما وتقاربهما في بعض الوجوه وكذلك تكون
في جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله عز وجل وتكون في رياء محض وتحسبه حمد الله سبحانه
او دعوة للناس الى الخير فتاخذ تتقرب على الله سبحانه المعاصي بالطاعات وتحسب الثواب العظيم
في موضع العقوبات فتكون في غرور عظيم وغفلة قبيحة فهذه والله مصيبة فظيعة
للعاملين من غير علم ثم مع ذلك كله فان للاعمال الظاهرة علايق من المساعي الباطنة تصلحها او تفسدها
كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيره فمن لم يعرف هذه المساعي الباطنة ووجوه تاثيرها
في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز منها وحفظ العمل عنها فقلما يسلم له عمل الظاهر ايضا
فيفوته طاعات في الظاهر والباطن فلا يبقى بيده الا الشقاء والكد وهذا هو الخسران المبين ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير من صلوة على جهل فان العامل بغير علم يفسد اكثر مما يصلح وقال صلى الله عليه وسلم
في العلم انه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فالمعنى فالعلم عند الله تعالى ان احدكم شقوته ان لا يتعلم
العلم ثم يشقى ويتعب في العبادات على خبط مما يكون له من ذلك الا العناء نعوذ بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا
عظمت عناية العلماء الزهاد العاملين رضي الله عنهم بالعلم خاصة من بين ابناء الناس فان مدار امر العبودية
وملاك العبادة والخدمة لله تعالى على العلم وهكذا يكون نظر اولي الابصار واهل التاييد والتوفيق فاذا تبين
لك بهذه الجملة ان الطاعة لا تصح للعبد ولا تحصل له الا بالعلم فيلزمك اذا تقديمه في شان العبادة واما
الخصلة الثانية التي توجب تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال الله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه

Copyright (c) King Saud University